خمس رسائل من الحكيم الترمذى

الدكتور عبد الفتاح بركة

الحمد لله ، ولى الحمد وأهله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه .

وبعـــد :

فهذه خمس رسائل منتثرة فى كتب الحكيم الترمذى ورسائله ، ولاشك أنها ليست هى الرسائل الوحيده الموجودة فى هذه الكتب وهذه الرسائل ؛ ولكنها هى الرسائل التى وضعت بعنوان صريح يدل على أنها كانت مكاتبة بينه وبين مريديه وأقرانه ، وهى كما تبدو لأول قراءتها إجابة لكتب وصلت إليه من أصحابها ، يرد عليهم فيها ، إما بالإرشاد والتوجيه ، وإما بتبادل النصيحة والتواصى بالحق ، وإما بالتصحيح والتقويم لما ورد فى كتبهم إليه من أفكار(١) .

ولم يعد الحكيم الترمذى خافى الشأن لدى الباحثين ، بعد أن ظل ردحا طويلا من الزمن لايكاد يعرفه إلا النفر القليل من أكابر الصوفية الذين اعتبروا كتبه زادا يتزودون به ، ويحرصون عليه ، ويوصون مريديهم وتلامذتهم به ، ذلك أنه قد نشرت له فى هذه الأيام عدة رسائل من مخطوطاته المنتثرة وكتبت عنه عـــدة رسائل تبحث فى حياته ، وتدرس فكره واتجاهاته(٢) ، ومع ذلك فلا يزال مجال البحث فى تراثه وفكره واسعا من

---

(١) وهناك رسالة تحتوى على إجابته للمسائل التى سأله أهل سرخس عنها وهى رسالة طويلة تتناول عدداً كبير من المسائل ، وقد حققتها ونشرتها بعنوان : « آداب المريدين أو المسائل التى سأله أهل سرخس » .

(٢) من هذه الكتب : المعرفة عند الحكيم الترمذى ، للدكتور عبد المحسن الحسينى رحمه الله ، والحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية للمحقق ، ورسالة عن الحكيم الترمذى بالانجليزية للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى ، عدا بحوث أخرى لبعض المستشرقين .

جوانب مختلفة ، واعتبارات متعددة ، كما أن الكثير من مخطوطاته لا يزال في حاجة إلى مزيد من الجهد ، لكي يرفع من فوق وجهه غبار السنين ، ويزيل عن تسماته وملامحه عبث النساخ ، وتداخل الموضوعات ، ويبرز فكره الصافي جليا قريب الجنى للمريدين .

وجميع هذه الرسائل الخمس في هذا الحيز ؛ وفي هذه الدراسة الموجزة ليس إلا إسهاما متواضعاً في هذا المجال .

وكما هي الحال في الكائنات الحية حيث نجد في كل خلية ما يحدد شخصية الكائن الذي تنتمي إليه نجد هنا في هذه الرسائل على صغرها وقصرها ، كل التفاصيل التي ترشد إلى شخصية صاحبها وطابعه ، والتي تميز فكره واتجاهه وأسلوبه عمن عداه .

وليس هناك ترتيب تاريخي يمكن أن نعتمد عليه في ترتيب هذه الرسائل ، ولا نظام تطوري يلحظ خلالها يمكن الاعتماد عليه كذلك في هذا الترتيب ، ولذلك يمكن أن ترتب هذه الرسائل بترتيب مختلف ، دون أن يضر ذلك بموضوعات الدراسة ، ومع ذلك فقد رتبتها هذا الترتيب على هذا أساس خيط دقيق - قد تمكن ملاحظته وقد تدق ملاحظته - يربط بين الموضوعات التي تناولتها هذه الرسائل ، وينتظمها بحيث يكون ترتيبها طبيعيا من جانب ، ومعقول المعنى من جانب . وهي بهذا يمكن أن تنقل لنا صورة تخطيطيه عن فكره واتجاهه .

ومثل هذا الترتيب ، لا يفترض أنها كانت كذلك بهذا الترتيب في الواقع لأن الرسائل التي ترد إليه لم ترد بناء على خطة أو منهج معين ، وإنما كانت ترده الرسالة في شأن ما فيجيب عليها بمقتضاها ، بصرف النظر عن صلتها بأي رسالة أخرى .

ولقد بدأنا هنا برسالته المعنونة « جواب كتاب من الري » ، وهو عنوان

لمجموعة من المسائل ، بدأت بهذا الجواب ، فسميت المجموعة كلها بهذا الجواب ، ونحن نكتفي هنا بتحقيق هذا الجواب دون بقية المسائل ، لأنه فرضنا في هذه المجموعة من الرسائل .

وتوجد هذه الرسالة في عدة مخطوطات منها مخطوط محفوظ في دار الكتب الوطنية الظاهرية بسوريا رقم ١٠٤ ، ومنها مخطوط محفوظ بمكتبة ليبزج بألمانيا رقم ٢١٢ ، ومنها مخطوط محفوظ بمكتبة اسماعيل صائب بتركيا ١٥٧١

وقد اعتمدت في تحقيق النص على المخطوطين الأولين ، ورمزت لمخطوط الظاهرية بحرف ظ ، ولمخطوط ليبزج بحرف ز ، والخلافات بينهما لا تكاد تذكر ، ولا تؤثر في المعنى .

وفي هذه الرسالة يرد على ما أبداه صاحباه من شوق إليه ، بأن الشوق ينبغي أن يكون على وجه من وجوه أربعة ، وعليه أن يراجع نفسه ليجد مبعث هذا الشوق إن كان يتفق مع واحد من هذه الأربعة فيكون شوقه محمودا مشكورا .

أول هذه الوجوه أن يكون شوقه لرؤيته باعتباره عبداً عليه سمات العبودة فيحظى ببعض هذه السمات ، أي يتأدب ببعض آداب العبودة لله فيكون شوقه عندئذ خالصا لله

أو باعتباره عبدا ينطق بالثناء على الله بموجب نعمه وآلائه ، فيؤثر فيه ذكره لصفات الله وأسمائه الحسنى ونعمه ، فيرى منها ما كان في غيبة عنها فيكون شوقه عندئذ خالصا لله .

أو باعتباره عبداً موفور الحظ من مشيئة مولاه ورعايته ، ظهرت عليه هيبة سيده ورحمته فيكون في رؤيته سبب لقربته . فيكون شوقه خالصا لله

أو باعتباره عبدا بذل مابذل من جهد حتى رحمه الله وأخذ بيده وولى هدايته إلى طريقه ، فيكون فى رؤيته دليل له إلى هذا الطريق ، فيكون شوقه عندئذ خالصاً لله .

وهنا نلمح نظرة الحكيم الترمذى فى تقسيم العلم فى الوجهين الأولين ، وتقسيم الولاية فى الوجهين الأخيرين .

أما تقسيم العلم ، فالأول عبد مرتبط بالآداب الشرعية وعلم الحلال والحرام يتأدب بها ويلتزم بها . والثانى عبد استشرف إلى علم أعلى هو ذكر الله وآلاؤه ، وهذا من علوم الحكمة .

أما تقسيم الولاية فى الوجهين الأخيرين ، فالأول عبد اجتبى خرجته الولاية من مشيئة مولاه بصرف النظر عن سعيه وإرادته ، والثانى سلك طريق الإرادة والجهد حتى رحمه مولاه فأخذ بيده وولى هدايته إلى طريقه .

والشوق إليه على أى وجه من هذه الوجوه نابع من شوقه إلى الله ، فشوقه محمود لذلك أما إن كان شوقه لغير هذا الغرض ، منبعثا عن أسباب أخرى كطلب الجاه وحسن الذكر وغير ذلك من أغراض النفس ، فهذا مالا يعرج عليه الحكيم .

ثم بعد ذلك يتعرض للشكوى وللمشكلة المطلوبة ، وهى أن هذا المريد كان قد وصل إلى مقام ، لا يقوم فيه بعمل إلا بعد أن يرد عليه وارد إلهى يأذن له بالعمل ، ومقتضى ذلك أنه لا يجوز له أن ينطلق إلى عمل بغير إذن — ومن المفهوم أن ذلك إنما يكون فى غير الفروض من الأعمال لأنها مطلوبة بمقتضى الأمر ، فلا تحتاج إلى إذن جديد ، أما أعمال التطوع فهى التى قامت المشكلة بشأنها — ولكن هذا المريد أراد أن يتأكد فى حاله ومقامه فصحب رجلا يرجو على يديه فتحا أكبر ، فكانت النتيجة أن فقد ما كان فيه ، ولم يجد فى شيخه الجديد تعويضاً عنه .

وهنا نجد الحكيم الترمذى — على خلاف ماتتوقع — يوجه اللوم إليه على مافعل ، فمادام قد وصل إلى هذا المقام وجب عليه أن يلزمه ، حتى يكون الله هو الذى يتولى تحويله عنه إلى مقام آخر أما أن يذهب إلى مخلوق مثله يلتمس منه المعونة على أمره ، كأنه لم يرض بما أقامه الله فيه أو كأن هذا المخلوق يملك له عند الله شيئاً ، فجزاؤه الحرمان .

فهذا المريد قد تعجل ، ومثل هذه الأحوال تحتاج إلى مدة حتى يستحكم أمره فيها : وقد ضرب الحكيم مثلا لذلك بعبيد السبى فى أول وقوعهم فى العبودية لا يعرفون أخلاق سيدهم ، ولا أسباب مرضاته ، فعليهم بالطاعة وانتظار الأوامر والتوجيهات للتصرف بمقتضاها حتى إذا طالت المدة وتعودوا على أوامره ونظامه أمكن لهم أن يتصرفوا بما يحبه ، فإذا أصبحوا كذلك أصبحوا وكأنهم قد أخذوا إذناً عاما ، لأنهم أصبحوا لا يتصرفون إلا بمقتضى ماعرفوا أنه فى مرضاة سيدهم وتحقيق مراده .

عند ذلك يصبحون أهلا للتفويض ، يأخذون ويعطون ويتاجرون باسم سيدهم ولحساب سيدهم ، ويتولون سياسة داره وعبيده بناء على هذا التفويض .

فإذا جاء هذا العبد قبل أن يصل إلى هذه المرتبة وتعجل أمره ، وذهب إلى عبد مثله يستعين به لكى يتصرف فى شئون سيده بدون إذنه ، كان قد أساء التصرف ، وسقط من عين السيد .

وهذا ما فعله هذا المريد ولذلك أجابه الحكيم بقوله : وهكذا يكون شأن من يطلب الخالق بالمخلوق .

ثم نصحه بتجديد الإرادة والتوبة مما أحدث فى ترك الطريق ، والصبر على أمر الله مهما طال به الزمن ، حتى يصل . والتزام الحزن والتضرع والدعاء ، والتبرؤ من الحول والقوة ، وليكن هذا دأبه ولو إلى آخر رمق من الحياة حتى يرحمه الله ويتولاه .

وقد نستطيع أن نلمح هنا - ما لم نكن نتوقعه - وهو أن الحكيم الترمذى لا يتفق مع رأى الكثيرين من أئمة التصوف فى ضرورة الشيخ للمريد وتشديدهم فى ذلك إلى حد اعتبار الشيطان شيخ من لا شيخ له، بل نجد أنه هنا يفترض عقوبة الحرمان لمن اعتمد فى سلوكه على شيخ .

لكننا من جانب آخر نرى أن ذلك قد يكون بسبب أن هذا المريد لم يحسن اختيار الشيخ الماهر بالطريق، أو لأن هذا المريد كان قد وصل إلى مقام معين لم يعد يحتاج فيه إلى مثل هذا الشيخ، وإنما يحتاج الصبر فى انتظار ما تخرج له به رحمة الله .

على كل، نجد هذا النص يفتح الباب بغير شك لمريد يسلك بغير شيخ، وإن كان أئمة الصوفيه يرون أن المستقل بنفسه يكون كالشجرة التى تنبت بنفسها، فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر .

* * *

أما الرسالة الثانية فمعنونة باسم صاحبها، وهو أبو عثمان سعيد النيسابورى وهو أحد ثلاثة من رجال الطبقه الأولى فى شيوخ الملامتية : أبو حفص النيسابورى، وأبو صالح حمدون القصار النيسابورى، وأبو عثمان سعيد النيسابورى .

والملامتية فرقة صوفية ظهرت فى نيسابور فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، وقد اشتهرت بهذا الاسم دون باقى الفرق الصوفية نظراً لمنهجها الخاص فى تربية النفس ورياضتها، وتشددهم فى نظرتهم إليها، وفى معاملتها ومحاسبتها، وقد أخرج الدكتور أبو العلا عفيفى - رحمه الله - بتحقيقه رسالة لأبى عبد الرحمن السلمى بعنوان « رسالة الملامتية »، وقدم لها بعنوان « الملامتية والصوفية وأهل الفتوة »، ومن هذه الرسالة نجد أنهم

يركزون تركيزاً شديداً على معالجة النفس من عيوبها ورعوناتها، واتهامها فى كل شأن من شئونها فعلا أو تركا، معصية أو طاعة، ومحاولة التخلص من حضورها، ومن شهودها حتى يصفو لهم حال الإخلاص، لأن الإخلاص هو الأساس الذى يمكن أن تزكوا به أعمالهم، ولا يمكن بدونه الوصول إلى مقامات القدس .

ومثل هذا المنهج يقتضى منهم أن تكون معظم تعليماتهم متجهة إلى التضييق على النفس وذلك عن طريق النهى المستمر، والمنع المستمر، والاتهام المستمر، ولذلك لاحظ الدكتور أبو العلا عفيفى أن تعاليمهم فى جملتها مصبوغة بصبغة سلبية، بمعنى أنهم يذكرون عيوب النفس ونقائصها للتخلص منها، أكثر من ذكرهم الفضائل والكمالات التى ينبغى أن تتحلى بها .

والنفس عندهم شر فى طبيعتها، ولا يصدر عنها إلا ما يوافق طبيعتها، لذلك كانت نظرتهم المتشددة تجاه كل ما يصدر عنها، وكانت فكرتهم فى استمرار لومها ونقدها فى كل ما تفعله سواء كان معصية أو طاعة، أما المعصية، فلأنها معصية، وأما الطاعة، فلأنها تفسدها بشرورها وتشوبها بشهواتها المختلفة من حب التمدح والثناء والإعجاب والرياء وغير ذلك من الآفات .

ولا يكاد الملامتى يهادن نفسه أو يستريح لها، لذلك لا يبالى بما ظهر من عيوبه للناس، لأنه يعلم أن هذه العيوب حقيقة نفسه، وأن محاولة إخفائها يبعثه ما فى نفسه من حب الترائى أمام الناس، بل لعله يجتهد فى إخفاء محاسنه عن الناس، لأنه - حتى بالنسبة لهذه المحاسن - يتهم نفسه فيها بعدم الإخلاص، فكيف يتمدح أمام الناس بعمل مشوب لا إخلاص فيه !!

ولا شك أن هذا إغراق قد يبدو فى نظر البعض مغالاه لا مبرر لها، كما يبدو الاستغراق فيه صارفا عن الاستشراف إلى آفاق أعلى وأوسع .

وهذا ما نلاحظه فى كتاب الحكيم الترمذى إلى أبى سعيد ، فعلى الرغم من اتفاق الحكيم مع الملامتية فى نظرته المبدئية إلى النفس واتهامها ، ومن كونه ذا مذهب فى رياضتها وتأديبها ، إلا أنه لا يقبل نظرة الملامتية التى تحصر المريد فى هذا المنهج وحده ، فتصرفه عن منهج آخر يتكامل معه .

ولقد قدم حديثه بالإشارة إلى عناصر النفس السبع ، وهى الشهوة ، والرغبة ، والرهبة ، والغضب ، والشك ، والشرك ، والغفلة ، ثم وضع فى مقابل ذلك نور الإيمان الذى يذهب هذه الحجب عن القلب كلما ازداد ضياؤه ولألاؤه .

وذكر كذلك نوعين من العلم : العلم بالنفس وعيوبها ، والثانى : العلم بالله تعالى .

والمقابلة بين هذين النوعين ، وبين إشارته السابقة ، مقابلة تامة .

ثم علق على ذلك بأن الاشتغال بالعلم الأول دون الثانى نقص فى المنهج لا يوصل إلى الغاية المرجوة ، ذلك لأن العمل فى رياضة النفس وتأديبها لا ينتهى ، فمتى يتفرغ للاشتغال بالعلم الثانى .

وبعد هذه المقدمة التى مهدت لجوابه بدأ فى مناقشة أبى سعيد ، ونستشعر فى مناقشته لأبى سعيد شيئاً من الضيق والتبرم حيث يقول له « وورد على كتابك يا أخى ، وكتاب بعد كتاب ، ووكدت فى ذكر عيوب النفس فى باب المعرفة ، فإن قدرت يا أخى أن لا تشتغل بذكر العيوب كل هذا فافعل ، فإن لله تعالى عبادا عرفوه معرفة ، وأنكروا كل شىء دونه ، وأنفوا من ذكر النفس ، وخافوه ، فكأنهم إذا ابتلوا بذكرها تدور بأحدهم معدته حتى يكاد يقىء » .

فالاستغراق فى اشتغال بالنفس لا يكفى فى تهذيبها وتربيتها ، ولكن

الانصراف إلى الاشتغال بالله وعظمته كفيل أن يقمع النفس إلى حد يصبح ذكر آفاتها مما يقزز المريد ويثير أنفته .

ثم أشار الحكيم إلى فكرته فى أقسام الحكمة ، حيث إن علم النفس وعلم تزيينها وتهذيبها ، لا يتجاوز الدرجة الأولى من علوم الحكمة ، أو هى عنده : الحكمة الدنيا ، نظرا لموضوعها ، ومصدرها ، وثمرتها .

أما الحكمة العليا ، فإنها لا تكون إلا بالاشتغال بالله اشتغالا يفتقل بصاحبه فى أملاك الصفات الإلهية حتى يهدى إليه الله الحكمة العليا من خزائن ربوبيته ، وعند ذلك يكون أهلا لتقبل أسراره والمثول فى ساحته ، والوصول إلى رضوانه ، فمن وقف على النفس وعلاج آفاتها ، وقف عند الحكمة الدنيا ، ومن استشرف إلى الحكمة العليا اشتغل بالله فردا .

وأسوف نجد تأكيد مثل هذه المعانى فى رسالته الثالثة . وهى والرابعة مفقودتان إلى محمد بن الفضل ، وهو — أيضا — من كبار شيوخ الملامتية .

يقول عنه أبو عبد الرحمن السلمى : وهو من أجلة مشايخ خراسان ، ولم يكن أبو عثمان يميل إلى أحد من المشايخ ميله إليه . ويروى عنه قوله : لو وجدت من نفسى قوة لرحلت إلى أخى محمد ابن الفضل ، فأستروح برؤيته .

ومع صلته هذه الوثيقة بالملامتية ، فقد كانت صلته بشيخنا الحكيم — على ما تدل عليه هذه الرسائل ، وعلى ما ترشد إليه كتب الطبقات والتراجم — صلة وثيقة كذلك وكانت أقرب ما تكون إلى التلمذة ، والإرادة منها إلى صلة الأنداد والأقران ، وليس ذلك بغريب فقد كانت نظرة الحكيم إلى النفس من الناحية المبدئية هى بعينها نظرة الملامتية إليها : ولذلك وجدنا

من تلاميذ الحكيم الترمذى من أصبحوا من بعده رادة من رواد المدرسة الملامتية مثل أبى على الحسن بن على الجوزجانى ، والجامعة — إذن — بين الحكم وبين مشايخ الملامتية جامعه قوية ، وإن كان الحكيم يفترق عنهم بعد ذلك فى اتخاذه منهجا إضافيا يعتبره أساسيا فى تحقيق مراده :

ولسوف نجد فى رسالته هذه إلى محمد بن الفضل توضيحا لهذا المعنى الذى ذكره من قبل لأبى عثمان ، ونلاحظ فى هذه الرساله ما لم نلاحظه فى سابقتها من التلطف والرقة واللين فى معالجة الأمور .

وقد بدأ مباشرة بمناقشته فى مسائله بغير تمهيد ولا مقدمات ، فذكر فكرة الملامتية فى معرفة النفس وقلة أمانتها ، وأجاب بأن لمعرفة النفس جانبين : أحدهما صحيح ، والآخر سقيم ، أما من أراد معرفتها عن طريق مقابلة الصدق بالكذب ، فسوف تنقضى حياته ، ولم يحصل منها على الصدق أبدا حتى ولو اصطلحت معه ، وسامحته فى ذمها وإبراز عيوبها أمام الملأ — وهذا ما تفعله الملامتية — فمثل هذا قد عادى نفسه (على ما يظهر له) وأظهر هذه العداوة أمام الخلق ، ورضيت نفسه منه بذلك . فاطمأن إليها ، ولم يعلم أنها عاملته بعملة مزيفة ، لأنها حصلت من وراء ذلك على شىء مما تشتهيه فى تنظيم الناس لها وإشارتهم إليها ، ثم يصف طائفة تتجلى فيهم هذه الحالة من القراء ، أعمال البر لباسهم ، وذكر اللسان رداؤهم ومظهر الحزن عصائبهم وعمائمهم ، والتماوت ، شأنهم ، ومظهرهم ، وتفوسهم بذلك راضية ، قد اكتفوا من الحقائق بهذه المظاهر . فخدعتهم نفوسهم وغرتهم . فهذه معرفة سقيمة :

أما من أراد معرفتها عن طريق معرفة تدبير الله فيها ولها ، فيهيأ أن يطمئن لذلك أو يشتغل به ، بل يفزع منه ويلجأ دائما إلى الله حتى يهديه ويأخذ بيديه ، والفزع حقيقة الفزع يذهل صاحبه عن كل شىء آخر غير موضوع الفزع ، فليس المقصود إذن التظاهر بالفزع وإنما الشعور

الحقيقى بالفزع الذى يدفع إلى الالتجاء الحقيقى (وهو التجاء المضطرين) إلى الله وحده ، وهذه هى المعرفة الصحيحة للنفس .

وبعد أن يصف الحكيم بعض مظاهر هؤلاء المغترين : (وذلك بلا شك مما كان يلاحظه على بعض مريدى الملامتية) انتقل إلى مناقشة ابن الفضل فى مسألتين ترشدان إلى ما كان يتعرض له الحكيم الترمذى من رجالات عصره وعلمائهم ، وتدلنا على موقفه منهم ، فقد ذكر ابن الفضل المنافسة فى الدنيا ، وهذا يعطينا دليلا على أن علماء عصره كانوا ينفسون عليه ، ويخشون منه أن ينافسهم بفضله ودينه وصلاحه فى دنياهم . ولعلهم كانوا يتهمونه بأنه إنما يفعل ذلك منافسة منه فى دنياهم .

وقد أجاب الحكيم على هذه الإشارة غير الصريحة بإشارة مثلها لكنها كافية فى الرد بأنه لا أرب له فى هذه الدنيا مبينا أن المنافسة لها عند ، معنى طلب الجاه من غير الله ، ومن يفعل ذلك يريق ماء وجهه ، وتكون أعماله تصنعا وملقا ومداهنة ، أما من أفاق عن ذلك إلى معرفة الله ، فإنه لا يطلب لنفسه جاها إلا عند الله ، فتتعطل (عندئذ) أسباب دنياه المصطنعة ، ولا تعود له منافسة فيها .

أما المسألة الثانية فتشير إلى تهمة أخرى موجهة إليه ، وهى استخفافه بالإخوان ، ومعنى ذلك شعوره بالكبر فى نفسه ، مما يسقط منزلته عند الله ، ويسقط عنه دعوى الصلاح والتقوى عند الناس .

وقد أجاب الحكيم الترمذى ، بأن المسألة ليست استخفافا بالإخوان ، ولا استكبارا على الناس ، وإنما هى مسألة مشارب تتفق . واتجاهات تأتلف ، فإذا اتفقت المشارب أمكن الاجتماع : وإذا اختلفت ، صعب الاجتماع إلا على أساس من التعايش والمداراة .

وقد كان يمكن ذلك لو كانت الناس على ما كان عليه السلف من سلامة

الصدور وسخاوة النفوس ، أما وقد فسدت النفوس وضاقت الصدور ، فقد أصبح الاجتماع على التعايش والمدارة أمرا صعبا كذلك : وإذا اشتغل الانسان بذلك أضاع وقته وجهده وحاله مع الله ، وإنما يكفيه فى ذلك ما يكون بينه وبين الله فى شأنهم ، وهو أن ينظر إليهم نظرة رحمة بحيث لا ينالهم منه أذى لا بالفعل ، ولا بالقول ، ولا بالضمير .

ثم يعلق على ذلك بأنه ينبغى على المرء أن لا يحكم على الآخرين بمثل هذه الصورة ، وأن لا ينظر إليهم ليقيسهم بمقياسه لنفسه ، فليس كل الناس سواء ، ومثل هذا الميزان (الذاتى) : ميزان عائل . غير مقبول عند الله ، ولو صادف الصواب . لأنه لم يرتكن إلى الحق فى تقدير الله ؛ وعلى ذلك فإنه لا يمكن أن يصدر إنسان على آخر حكما ، إلا بميزان الله : (وهو الميزان الموضوعى) : وإلا عرض نفسه لغضب الله وسخطه :

وبهذا يتجلى موقف الحكيم الترمذى من بعض التهم التى كانت تروج ضده فى مجتمعات خراسان العلمية والصوفية :

أما فى الرسالة الثانية لمحمد بن الفضل البلخى فإننا نجده يسترسل معه فى حديث ذى شجون يعكس لنا عن حالة أكثر مما يعكس لنا عن فكره ، فقد أثار ابن الفضل شجونه ولواعجه حين ذكر مصائب النفس — كما هى عادة الملامتية — ثم حين دعا إلى الله لهما أن يجبر مصائبهما فى الجنة .

وقد أجاب الترمذى بمقتضى مذهبه بأن الاقتصار على النفس لا يكفى بل لابد من الالتفات إلى القلب ، لأن مصائب النفس أهون من مصائب القلب ، ومصائب النفس هى آفاتها وعيوبها ، ومصائب القلب هو حجابه عن ربه ، وهو كارثة لا يشعر بها من وقع فيها ، لأنه يصبح كالسكران ، لا يشعر بآلامه إلا بعد أن يفيق ، والمريد يخشى أن يكون محجوبا عن ربه

وهو لا يدرى ، فتلك هى مصيبة المصائب وكارثة الكوارث ومثل هذه الكارثة ، لا تنجبر .

ولذلك صحح الحكيم لابن الفضل البلخى دعوته بجبر المصائب فى الجنة .

ونلاحظ هنا ذلك الأفق الرفيع الذى يحلق فيه الحكيم الترمذى ، فهو لا ينظر إلى المصائب التى تتبادر إلى الذهن من ارتكاب بعض الآثام والذنوب التى نرجو من الله سترها ومحوها ، وإنما ينظر إلى شىء آخر ، إنه الحرمان من الوصول إلى الله . فليس الحساب ويسره ، وليس الصراط والمرور عليه ، وليست الجنة ودخولها مما يحرك فيه شعرة ، ولا يلفت منه نظرة ، ولا يستفرغ منه فكرة ، إنه بعيد عن كل ذلك ، إنه مستغرق والله فى الله وحده ، إنه عارم الأشواق جياش العاطفة فى إتجاهه إلى الله وحده ، فكل شىء بعد ذلك يهون ، وإذا فقد ذلك لم يعد لشىء عنده اعتبار ، وهو يخشى أن يكون فى هذا الغرور ، ذلك أن الجنة درجات أعلاها الفردوس وهو متصل بعرش الرحمن وفيه الرضوان . ولا يصل إليه إلا أهل الخطوة عنده ، أما الآخرون فإنهم وإن دخلوا الجنة يعطون الرضا ، فلا يستبين عندهم فداحة المصيبة التى أصابتهم بحرمانهم من الفردوس إن أهل الفردوس يصلون إلى الله تعالى فردا ، أما أهل الدرجات فإنهم يصلون إلى صفة من صفاته كالكبرياء والعظمة .

ويصف أهل الفردوس بوصف الله لهم فى سورة المؤمنون ، والتى يقول فيها « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » فقد كان لكل مؤمن نصيبه من الفردوس . فمن لها عن نصيبه ذلك ، ومات عن الله تعالى فردا ، ورثه من حيى بالله ونال الفردوس ، فنال نصيبه ونال نصيب هؤلاء الذين قصروا فلم يصلوا ، وقيمة الفردوس فى كونه متصلا بالعرش وفى كونه محل الرضوان الأكبر .

وليس لشوقه هذا إلى الله فردا حد يحده ، ولا نطاق يحكمه ، إلى درجة يتمنى لو سار فيه خلف أنبياء الله تعالى قدما بقدم ، ويرى أن ذلك ممنوح لطائفة من أمة سيدنا محمد ﷺ فيروى أن الله تعالى يقول لداود عليه السلام : قم يا داود فمجدنى كما كنت تمجدنى فى دار الدنيا ، فيقوم داود فيمجد ربه .

ثم يقول : فقد ورثت عصابة من هذه الأمة ذلك التمجيد عنه ، أولئك قوم صدقوا الله فى الإجابة ، دعاهم فلبوه بأجمعهم .

وهؤلاء كانت صفاتهم ما ذكر فى أول سورة المؤمنون ، صفات على الحقيقه ، لا فعلا بالظاهر يفعله الإنسان لمجرد الطاعة والفوز بالجنة ، بل يفعله انبعاثا تلقائيا ذاتيا ، ويصف الآخرين بقوله : استقام بأركانه . ولم يستقيم بإقباله ، فتخشع ولم يخشع ، وجانب اللغو ولم يعرض ، وأعطى الزكاة ولم يفعل ... وأما ما هؤلاء الذين يصلون إلى الله فقد وصفهم بقوله : وهؤلاء قد تستروا بالأعمال ، ولم يلبسوا . وتمتعوا بالأزواج وهجروا الأفراح ، وتناولوا الأسباب وتوقوا العلائق . لا يعرجون على شىء من درجات .

فالمغتر لها عن حظه من ربه ، وأقبل على حظه من الجنان ليتنعم بها فعمل لها .

والكيس لها عن حظه منها فى جنب حظه من ربه فما زال يسعى بقلبه دءوبا حتى وصل إلى الحظ ، فاستقر بين يديه « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

فهذا الشوق العارم والعاطفة الجياشة التى تتلاشى أمامها الدنيا والآخرة فى جنب ساعة يذكر الله فيها عبده مما يجعلنا نقف مشدوهين حائرين عاجزين عن التعليق إلا بمثل ما يعلق هو به تعقيبا على تلك الحسرة التى

يمر بها المؤمن على ساعة لم يذكر الله فيها ، وإنما كانت حسرته لأن الله يبعث أيام الدنيا ولياليها على هيئتها التى كانت (١) ، فالساعات التى ذكر الله فيها تكون مشحونة بذكر الله له فيفرح بذلك ، فإذا مر بساعة لم يذكر الله فيها كانت خالية من نور ذكر الله له ، فيتحسر ، وما ذلك إلا بشدة حبه وشوقه إلى الله .

أما الرسالة الأخيرة فكانت إلى بعض إخوانه دون تعيين ، وفيه يتواضع من ذكر أخيه بهذا العلم ، مبينا أن لكل شىء شرة — حدة ونشاطا — وفترة — هدوءا وكمونا — وأنه ينبغى أن يكون العالم مع الله فى وقت سكونه ليكون الله معه فى وقت نشاطه فلا يغتر بعلمه فيصبح العلم حجابا بينه وبين ربه .

ثم علق على الرواية التى ذكرت عن سيدنا داود أنها من الإسرائيليات — أو هى كما يقول — من الحكايات الدارسة من الزمن الأول وأن هذه الأمة أخذتها من هؤلاء الرهابنة أصحاب الصوامع ، ذلك لأنه لا يتصور أن يخاطب الله نبيه داود عليه السلام بقوله : إحذرنى كيلا أصرعك صرعة تكون نكالا بين الأنبياء .

كيف ونبى الله داود عليه السلام كان يعمل فى الأحكام بالتوراة ، لكنه لما كان قد سبقت له من الله سابقة بالمحبة الفاضلة آتاه الله فى خاصة نفسه الزبور ، وهو ثناء على الله . ولذلك يناديه الله يوم القيامة قائلا : يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا ، ومثل

---

(١) ولقد ذهب كثير من الباحثين المحدثين إلى مثل هذا القول بعد أن شاهدوا أعاجيب العلم الحديث فى كيفية التسجيل الصوتى والضوئى ، أنظر مثلا كتاب « الإسلام يتحدى » ، وما تخفى القدرة الإلهية من أعاجيبها لاشك أعظم وأكبر ، والله أعلم .

ذلك لا يكون إلا بمقتضى ما فى قلبه من المحبة الخالصة ، فكيف بتصريح هذه المحبة أن يحيه بمثل هذه المقالة التى تهمد منها الأرواح، وبتزعزع القلب، وتخمد منها فوران حب الأحباب .

وهنا أيضاً نجد النشيد نفسه الذى ظل الحكيم الترمذى فى طريقه الله يردده ويترنم به على الآفاق العليا ، نشيد الحب الإلهى ، والثناء والتمجيد.

لقد بدأ بذلك النشيد طريقه الصوفى بعد أن وقع على كتاب الأنطاكى يقول الحكيم : فأخذت أتتبع من الكتب محامد الرب تبارك اسمه ، والتقاط محاسن الكلام من طريق العظات .

وظل على ذلك النشيد ترتيلا وترجيعا فى كل كتبه ورسائله ، حوى هذه الرسائل الخمس التى تدلنا على صورة العلاقة فيما بينه وبين أترابه ومريديه

رضى الله عنه وأرضاه

الرسالة الأولى

جواب كتاب من الرى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو عبد الله رحمه الله :

سلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وصل كتابك ، وفهمته . وذكرت أنى مشتاق إلى رؤيتك العزيزة . فانظر – أبقاك الله – من أين هـذا الشوق مهتاجه . وإلى أى(١) شىء تشتاق رؤيتى .

فإن كنت تشتاق فشوقك(٢) إلى ما أصلت ، فقلت :

متى أرى عبدا من عبيده عليه سمات العبودة ، ممن أدبه العزيز بلطفه أحظى منه بعض سماته .

أو أرى عبدا من عبيده ينطق عن آلام مولاه بنعمة(٣) ربانية ، لعله أن أرى نعمته(٢) بعض حجبى ، فيصل إلى قلبى فيسبيه بصفات الآلاء .

أو أرى عبدا موفور الحظ من المشيئة ، وعين الله ترعاه ، عليه بهاء الثمرة وعليه لطف الرعاية ، وفيه بهجة الحظ ، وله غنا المرعى ، فأجعله حبائبه .

أو عبدا قد أخذ الله تعالى بيده ، وولى هدايته للطريق إليه ، حتى أقامه بين يديه ، فأقتبس منه علم الطريق .

(١) أى ساقطة من ظ (٢) فشوقك ساقطة من ظ

(٣) العين فى اللفظتين معجمة فى ز

فإن كنت فى إحدى هذه الوجوه ، ثم صرت على شوقك فأنت محمود مأجور .

ووصفت أن شانك ومبتدا أمرك أنك نلت منزلة لاتعمل شيئا إلا بإذن ، ثم صحبت رجلا ممن ترجو الزيادة به ، فتركت أمرك ، وأقبلت عليه ، فافتقدت الأمر الأول .

وهكذا يكون شأن من يطلب الخالق بالمخلوق .

الصادق فى الطريق يطلب ربه به ، لا بشىء سواه ، ومبتداه كما ابتدأت(١) فيه ، ألا تعمل شيئا إلا بإذنه إلا الفرض الذى لزم الخلق ، فكان هذا منك انقيادا للعبودة ، وتسليما للنفس إليه ، فكان سبيلك أن تدوم على هذا حتى تنظر مايكون(٢) منه بعد هذا ، فإن العبد إذا أقبل إلى الله تعالى هاربا من نفسه ، فارا إليه ، كما قال الله تعالى « ففروا إلى الله »(٣) ، فالفرار من النفس إلى الله تعالى(٤) ، فإذا كان صادقا قبل منه هذا الفرار ، وأوى ونصر .

وعلامة القبول والإيواء أن يرد على قلبه هذا الإذن .

وعلامة النصر أن يكف عنه هذا(٥) الوسواس .

فهو يستمر فيه ، ويدوم عليه ، فيحتاج إلى مدة حتى يحكم هذا وهو بمنزلة عبد السبى لا يعرف أمر مولاه ، وقد ألقى بيده سلما ينتظر مايأمره مولاه ، فهو ينهى إليه ، حتى إذا أتت عليه المدة بقدر ما يعرف أخلاق السيد

(١) ابتديت فى ز
(٢) بما . فى ز
(٣) الذاريات ٥٠
(٤) تعالى ساقطة فى ظ
(٥) هذا ساقطة فى ز

وقصده ومراده ، وضرر أمره ونفعه ، وصلح للتفويض إليه ، أعطاه رأس ماله ، وفوض إليه أموره ، فهو يأخذ ويعطى ، ويتجر فى ماله ، ويضع ويرفع ، ويسوس عبيده الذين هم دونه ويشرف على أمور سيده ، فلا يحتاج إلى إذن فى كل كلامه ، لأنه قد عرف أمر مولاه واستنبطه ، فصلح لتدبير أمره وسياسة عبيده .

فإذا ذهب هذا العبد وهو سبى بعد ، فوضع يده فى يد سبى مثله لم يبلغ هذا المحل ، ولم يصلح لتدبيره وسياسته ، وهو مثله ضعيف ، فقد ترك طريقه ، وضيع أمره ، فينبغى له أن يستقبل الأمر استقبالا .

وكذلك هذا العبد الذى بذل نفسه لله ، وانتظر الإذن فى كل أمر يرد عليه الإذن ، فيحتاج إلى مدة حتى ينتهى إلى غاية ، فهو فى هذه المدة فى مزيد من الله تعالى ، يزيده(١) نورا على نور ، حتى يزداد بأمره بصيرة ، ويموت منه كل داء دفين فى نفسه ، حتى يقوى للتفويض إليه .

وقد شرحت هذا كله فى كتاب أنفذته إليكم عنوانه « كتاب سيرة الأولياء » ، فاطلبه تجد هذا كله فيه إن شاء الله تعالى .

فمن شأنك الآن استقبال الأمر ، والتوبة من الحدث الذى أحدثت ، وتسليم النفس إلى الله تعالى مبتدئا ، والتبرى من الحول والقوة ، والتضرع إلى الله تعالى فى الإقالة ، تخرج من حيرتك(٢) إن شاء الله تعالى .

فتطهر وصل(٣) ركعتين فى براز من الأرض ، وتب إلى الله تعالى من الحدث الذى أحدثت إفى تركك طريقك ، وإقبالك إلى مخلوق مثلك(٤) ،

(١) الهاء ساقطة من ظ
(٢) فى هامش ز تصحيح لهذه الكلمة بكلمة : عثرتك .
(٣) فى ز : وصلى .
(٤) مثلك ساقطة من ظ

واجعل هذا رأس أمرك ، فإن النفس تحتاج إلى مثل هذا ، حتى تعلم النفس استقبال الأمر .

ثم خذ بزمام جملك فقده إلى الله تعالى قودا رفيقا بلطف ، ولا تعرج يمينا ولا شمالا حتى تبلغ المنزل .

ولو امتدت بك المدة إلى وصول المنزل إلى آخر رمق من الحياة ، فلا تتحير ولا تلتفت .

فإن بعد أجلك وقد وصلت إلى المنزل فطوباك، وهنأك الله تعالى بطيب المنزل ، والروح والراحة التى نلتها ، فإنك حللت بفناء ملك كريم .

ولكن يا أخى لابد لك من الجهد فى ترك الهوى حتى يرحمك فيرده عليك ، فإذا ظفرت بذلك ذهب الجهد ، وسهلت الأمور عليك .

فالزم الطريق، وعليك الحزن والتضرع والوحدة والصدق ، ولا تغرنك النفس مرة فتغتر، ومالم تأخذ بحلقة الباب مغبرا شعثا، فتنادى نداء الغريب الذى قد أتى من شقة بعيدة منقطع الزاد ، حتى يرحمك ويفتح لك الباب ، فلا تلتفت إلى شىء ، لا إلى النفس ولا إلى غيرها .

ولا تشتغل بشىء إلا بأداء الفرائض ، ثم من بعد ذلك فضع يدا على يد ، ولا تعمل شيئا إلا بإذنه ، كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله(١) : السرور كله لمن وصل إليك .

---

(١) فى ز : رحمة الله عليه .

الرسالة الثانية

إلى

أبى عثمان سعيد النيسابورى

قال : وكتب إلى أبى عثمان سعيد النيسابورى رحمه الله جواب كتابه :

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فإن هذه النفوس مبناها على السبع : على الشهوة . والرغبة ، والرهبة ، والغضب ، والشك ، والشرك والغفلة ، فإذا حيى القلب بالإيمان خرج من هذه السبع قلبا ، وهى فى النفس بواقى ، ثم تصير هذه السبع فى الصدر غطاء على القلب ، تتراءى(١) : له فى كل أمر ، وعلى كل حال ، ثم لا يزال العبد فى مزيد من ذلك ، ينور الله الإيمان فى قلبه ، فبقدر ما يستنير فى صدره يذوب هذا الغطاء عن قلبه وينكشف له عن حقائق الأمور ، حتى يصير من أهل اليقين .

فإذا أيقن تلاشت هذه النفس وذهبت ، فصارت الرغبة إليه ، والرهبة منه ، والغضب له ، وتحولت الشهوة منية ، والمنية أملا ، وصار الشك يقينا ، والشرك إخلاصا ، والغفلة جهدا ، فذهبت(٢) النفس ، وبقى العبد مع ربه فى الأحوال كلها .

---

(٢) فى الأصل تترئيا برد الهمزة إلى حرفها الأصلى اللين وسوف يتكرر ذلك فى كلمات مماثلة .

(٢) فى ز : فذهب :

ووجدنا العلم نوعين : نوع منها :

العلم بالنفس ودواهيها وعيوبها .

ونوع منها : العلم بالله تعالى .

فإن اشتغل العبد بمعرفة العيوب(١) ، بقي عمره فيها ، وفي التخلص منها ، وإن اشتغل بمعرفة العلم بالله ، كان ذلك دواءه ، لأنه علم به يؤدي(٢) إلى حياة قلبه ، وإزهاق نفسه ، فإذا زهقت النفس بما ورد عليها من التجلي حيي القلب بربه ، فأي عيب يبقى معه ! ؟

وورد علي كتابك يا أخي ، وكتاب بعد كتاب ، ووكدت في ذكر عيوب النفس في باب المعرفة ، فإن قدرت يا أخي أن لا تشتغل بذكر العيوب كل هذا فافعل ، فإن لله تعالى عباداً عرفوه معرفة ، وأنكروا كل شيء دونه . وأنفوا من ذكر النفس وخافوه . فكأنهم إذا ابتلوا بذكرها تدور بأحدهم معدته(٣) حتى يكاد يقيء .

وكيف يقدر من جال في بساتين الورد والياسمين والنسرين أن يرتع في بقاع الشوك ؟ أم كيف يقدر من صار ذكر الجليل له غذاء أن يستمع إلى ذكر غيره ! ؟

العلم بالله ، والمعرفة لله ، والعقل عن الله تعالى ، من(٢) حوى هذه الثلاث حيي قلبه بالله تعالى . ونعم باله ، وطاب روحه ، وصحت عبوديته ، وظفر بالحرية من رق نفسه ، وعلت رتبته وبرزت منزلته ،

---

(١) لفظة العيوب ساقطة في ظ .

(٢) في الأصل يوديه بتسهيل الهمزة .

(٣) في ظ : بذكر ما تدور معرفة ، والتصحيح من ز .

(٤) في ز : فمن .

وساد أشكاله ، وكرم على مولاه ، ونال منه فوق أمله في العاجل والآجل .

أما في العاجل : فأهدى إليه الحكمة العليا من خزائن(١) ربوبيته ، ومكن له بين يديه ، وأخذ له بأسراره .

وأما في الآجل : فيجعله من(٢) خدمه يوم نصطف الأولياء والأنبياء ، وأنطقه بالثناء عليه بما لم تسمع الآذان كلها(٣) مثله ، حتى تقر به عين المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهيأ له منبراً . وأما في داره فقرب محله ، ورفع الستر عنه فيما بينه وبينه .

فإن قدرت — رحمك الله — أن تكلم أخاك من هذا النحو فإنه أطيب لنا ولك وأشرف(٤) ، ومن أراد فيما بيننا الوصول إلى حاجته كان أرجى .

ومما يحقق ما قلنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أتاه الرجل فقال : يا رسول الله ، علمني غرائب العلم ، قال عليه السلام : ما صنعت في رأس العلم ؟ هل عرفت الرب ؟

فغرائب العلم هو علم النفس(٥) ، وعلم الأمر والنهي ، ورأس العلم ما دل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) في الأصل : من خزاين .

(٢) في ظ : في .

(٣) كلها : ساقطة من ظ .

(٤) في ز : فإنه أقرب لنا ولك وأطيب .

(٥) في ز : علم اليقين .

ومما يحقق ذلك ما ذكره(١) الله عز وجل فى التنزيل من قوله تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله »(٢) فاقتضاه علم هذه الكلمة ، وقد كان علم قبل ذلك منه ما علم ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم يزداد علما إلى أن فارق الدنيا(٣) .

---

(١) الهاء ساقطة فى ظ .

(٢) سورة محمد : ١٩

(٣) إشارة إلى قوله تعالى « وقل ربى زدنى علما » طه : ١١٤

الرسالة الثالثة

إلى

أبى عبد الله محمد بن الفضل البلخى

رسالة أبى عبد الله محمد بن على الترمذى رحمه الله إلى محمد بن الفضل رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وأدام الله لك العافية والسلامة ، وزاد فى نعمه عندك ، ووفقك لشكره عليها .

كتبت أكرمك الله تعالى ، ونحن فى ستر الله تعالى ، وربنا محمود ، ونسأل الله تعالى دوامه والمزيد من فضله .

وصل كتابك — أبقاك الله تعالى — وفهمته .

فأما ماذكرت من معرفة النفس وقلة أمانتها ، وسألتنى أن أتدبره ، وأتفقد من ذلك ، فإنى وجدت أن معرفة النفس على ضربين ، أحدهما صحيح والآخر سقيم .

فمن رام معرفتها من قبل الصدق ، فذهب فقابل الصدق بالكذب ، لم يكن ينجو من سقم معرفتها . وذلك أن الهوى يرصد من فعله ، فكلما قابل الصدق منه بكذبها ، فتبين له شىء ، موه عليه الهوى ، وزين له سوء باطنه ، حتى يخيل إليه أن قد عرف النفس وعرف كذبها ، وتاب إلى الله تعالى منها واستغفر ، وصدر عن هذا التبين والتدبر والاستغفار إلى طيب نفس وطمأنينة

كأنه قد فرغ من العمل ، ولم يرجع إليه ذهنه وعقله ، حتى يقول : شهوة هذا الكذب فى باق ، وإنما قطعت من الشجرة فروعها بالتوبة والاستغفار والإكباب على حفظ الأركان فقط ؛ وأما الكذب كله فهو باق فى، قد تشربت عروق لذته ، وخالطت لحمى ودمى شهوته ، بمنزلة النار فى الزند ، لا يودى إلا بعد القدح ، ولا يهدأ ولا يستقر ، ولا يشتغل بشىء ولا مع شىء حتى يقصد لطلب ذلك الداء ، حتى يظفر بالدواء المخرج للداء :

فهذا عبد أعمق النظر فى معرفة النفس، فقابل أكاذيبه بالصدق ، فصار عليه بها غزيرا ، ولسانه بها نطوقا ، وذم نفسه فى الملأ ، فهذا قد عادى نفسه فى الظاهر عنده وعند الخلق ، وحادثه (١) نفسه فى الباطن ، وصالحته نفسه على ذلك ، وأطمأنت ، فهى فرحة بلذة تلك العلوم ، وطيبة النفس بذلك الذم بين ظهراني الإخوان، قد خدعته النفس ، وأدخلته فى متجرها وسوقها فتروج عليه من نقد سوقها نحاساً وصفرا ، موها بالفضة ، مكتوب عليها أسماء الله تعالى وسورة الإخلاص ، فإذا غمزتها صلبت عليك ، وإذا حملت عليها فى الغم انكسرت ، وأبدت لك تخاصما ، فأهل السوق فى أسواقهم يتعاملون بها فيما بينهم ، لما يرون من فضتها ، ويحسبون أنها فضة ؛ فإذا وقع بيد الجهبذ زيفها وبهرجها ، فإذا شك المعاملون بها فى ذلك كسرها لهم فأراهم حمرتها(٢) .

فهذا دور بارزا للقراء ، أعمال البر لباسهم ، وذكر اللسان أردية ، قد تردوا بها فوق لباسهم، وتنفس المحزونين عصائبهم وعمائمهم ، والتعاوت شأنهم ، أعاذنا الله تعالى وإياك من هذا الصفة .

---

(١) هكذا هى فى الأصل ، ولعل المقصود : هادنته .

(٢) على الرغم من إسكان فهمها بالتعبير الدارج الحديث، فإن المقصود بها صفتهم وديدنهم ، ولعل اللفظة أعجمية .

ومن رام معرفتها من قبل بناه (١) التدبير ، فهيهات أن تطمئن نفسه أن تطيب ، أو يشتغل بالذم لها — عندنا — قد فطن وكاس ، ورأى أن هذا لا يزول عنه بالمعرفة لها ، والذم لها ، وأن من يزيلها خالفها ، ففزع إلى ربه ، والتجأ إلى من لا يلجأ إلا إليه ، وعلامة الفزع أن يذهل عن كل شىء تطيب له نفوس المغترين ، فإن فعل الفزع الذهول (٢) ، وعلامة الالتجاء أن لا يستظهر على مزايلته بشىء دونه :

فإذا علم الله الصدق من عبده فى هذا ، كان منه على إحدى(٣) منزلتين ، فمنزلة منه أن يهديه لطريق (٤) الجهد ، طريقا مستقيما لا يلتفت ولا يعرج على شىء ، ويوفقه ويعينه ، ويثبته فيه حتى لا تختلف أحواله ، فمرة جهد ، ومرة راحة ، ومرة بؤس ، ومرة رخاء ، ومرة انقباض ، ومرة انبساط هذا عبد لعاب ، يلعب بأمر الله تعالى ، ولا تدعه نفسه يثبت على شىء حتى ينتهى الأمر منتهاه :

ولأهل هذه الصفة منزل ينزلونه ، يقال له : منزل العشرة ، فأنزلهم ذلك المنزل ، بمنزلة من دعى إلى عرس ، فهيأ له ، فالظاهر منه كسوة حسنة ، وتحت ذلك ثياب دنسه (و) رائحة منكرة ، فأقعد من العرس ناحية فهو يجد رائحته ، وينظر إلى ما فى ذلك العرس من الألوان والنعم وبطنه خالى فعلمه بالعرس غزير ، ودماغه يريحه طيب ، وبطنه جائع ، فلو قام يمشى

---

(١) وكذلك هذه اللفظة نقلناها كما أمكن لنا قراءتها فى الأصل ، دون إدراك معناها فلعلها - أيضاً - لفظه أعجمية .

(٢) فى الأصل : والذهول . حذفنا الواو ليستقيم السياق .

(٣) فى الأصل : على أخر منزلتين .

(٤) فى الأصل : لطرق .

فقال رجل بكفه على ظهره (و) يدفعه ، فخر على وجهه ، فلمس الأصابع من ذلك العرس له كثير (١) .

وصاحب العشرة ينظر إلى تزاحم أعماله ، وإلى منطق كلامه ، وإلى هيئته وسمته ، وإلى ملاحظة الخلق إياه بعين التعظيم ، فيطمئن إلى ذلك ، ولا ينظر إلى بقية الله تعالى ، لأن البقية بقيتان : بقية لله تعالى ، وبقية لحقه ، فلم ينتبه صاحب هذا بعد لبقية الله تعالى :

نزلوا ذلك المنزل ، فأرضاهم الله تعالى فى منازلهم بشىء من عطاياه ، فاستطابوه ، والتذوا به ، واستعدوا ، والنفس بخدعتها ودهائها ترجع قهقرى رويدا رويدا ، تنسل (٢) من ذلك المنزل إلى دنياها ، حتى صار إلى أن رضى بالفعل السقيم من الصحيح ، والذكر الخالى من الوجود ، والتلذذ بأعراض غيرهم .

فقائل يقول : طعم اليوم فلان كذا وكذا ، فهو يتلمظ بشفتيه على طعام غيره وشرب فلان اليوم كذا وكذا ، فهو يبتلع ما فيه بلذة شراب غيره .

فهؤلاء فى عشرة من الأمور ، ما تونسهم مجالسة الخلق وفوائد العلوم العلوم التى تستلذها نفوسهم ، والتقاط حكايات المتقدمين ، وهذه القصائد التى أحدثها المتشاكلون . ولبس ذلك من كلامهم ولا هديهم ، يهزون عليها بالرءوس ويضربون عليها الأفخاذ ، تلك زين الضيافات والمتجملين بها :

فإذا فقدوها من جيعهم رأيتهم كطيور منتوفة الريش ، مكسورة

(١) هذه الجملة قلقة فى السياق ، ولعل هنا كلاما ساقطا ، أو لعل النسخ غير دقيق .

(٢) فى الأصل : منسل .

الاجنحة لا يوجد عندهم خشوع الباطن ، ولا وهدة (١) النفس ، ولا ألم القلوب ، ولا حزن الأفئدة ، ولا هموم [خا] صلة على مناهم وشهواتهم ، فأعينهم مادة إلى الخلق ، من يعظمهم ، ومن يبرهم ، ومن يكرمهم ، ومن يتعاهدهم ببر من قماش الدنيا .

على ذلك يتزاورون ، وعلى ذلك يأتلفون ، ولذلك يقصدون ، فهذه غرة عظيمة بالله تعالى :

وأما ما ذكرت من المنافسة فى الدنيا . فإنى حصلت عندى تفسير المنافسة فوجدتها طلب الجاه عند غير الله تعالى .

فمن كان معولا بطلب الجاه عند أحد سواه فقد خلق وجهة عنده ، وصارت أعماله كلها مدخولة مصنوعة على التصنع والتداهن ، ومن انتبه عن الله تعالى عن نومه ، أو أفاق عن سكره ، صار والها فى طلب الجاه إلى الله تعالى ، ولى الجاه وناصب الجاه ، وتعطلت أسباب دنياه ونفاسته فيها (٢) .

وأما ما ذكرت من شأن الاستخفاف بالإخوان ، وسقوط من فعل ذلك عن الله تعالى ، فأين ذلك الأخ ، أنا فى طلبه عطشان ، ومكانه منى على العاتقين ، وأشفار العينين .

وإنما يكون أخوك من سقياهما من مشرب واحد ، ومرعاهما فى مرتع واحد ، ومركبهما واحد من حظ واحد إلى رب واحد :

(١) توهد الفراش : تمهد ، وتوهد الشىء : تسفل ، والوهدة : الأرض المنخفضة ، ولعل المقصود بوهدة النفس تطامنها وخضوعها . انظر المعجم الوسيط :

(٢) نفس الشىء نفاسة : كان عظيم القيمة . فلعل المقصود : قيمته لدى الخلق ، أو يكون المقصود منافسته لهم . انظر المعجم الوسيط .

فأما من تباينا فى هذه الصفات فلا يأتلفان إلا على التدارى والتعايش وإخوان المداراة والمعايشة كانوا فى السلف الصالح الذين خلوا ، يتعايشون ويتآخذون على سلامة الصدور ، وسخاوه الأنفس .

فأما اليوم ؛ فقد تبدل بالسلامة خبا ودهاء ، وبسخاوة الأنفس طمعا وبخلا ؛ فرد السلام على مثل هؤلاء ومناولة اليد ؛ والسكشر(١) فى وجوههم كثير كثير ، والاشتغال بهم بطالة .

إنما يقتضيك الله من أمورهم ؛ أن ترحمهم رحمة يسلموا منك قلبا وبدا ولسانا وفعلا .

ووصيتى إياك — رحمك الله تعالى — مراقبة أمر الله تعالى ، فتنظر ماذا تصنع ؛ وتكون منه على حذر من تقليب الأحوال فى مثل هذا الوقت فإن هذا وقت خفى عليك شأنه ، وأوصيت نفسى بمثل ذلك من قبل أن أوصيك .

فاعلم — أبقاك الله تعالى — أنه من وزن الخلق بميزان نفسه فصوابه خطأ . فما ظنك بمن صوابه خطأ كيف يكون خطؤه ؟! ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه فإن أصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار(٢) فميزان النفس عائلة ، فمن وزن فى سوق المسلمين

---

(١) يمكن أن تقرأ هذه اللفظة فى الأصل بعدة وجوه ، منها ماثبتناه ، بالشين المعجمة ، وكشر عن أسنانه كشرا : كشف عنها وأبداها عند الضحك وغيره وكشر فلان لصاحبه : تبسم . المعجم الوسيط

(٢) ذكر ابن كثير فى تفسيره عن ابن جرير بإسناده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار . وقال : هكذا أخرجه الترمذى والنسائى من طرق وأبو داود =

بميزان عائل(١) فقد خان الأمة ، ونودى على رأسه فى الأسواق بالخيانة حتى يعرف الخلق ؛ فإذا كانت هذه عقوبة أمراء الدنيا ، فما ظنك بعقوبة مالك الملوك ! ؟ والأمير يعاين موازين الرعية ويختم عليها حتى ينفذ من(٢) السوق كيله ووزنه ، فإذا كان العبد لم يبلغ المبلغ الذى يتولى(٣) الله تعالى ميزانه ويختم عليه ، ثم وزن الخلق ، فهو على خطر عظيم من ربه تعالى ، وقد عرض نفسه للدمار والهلاك ، ولا ينفذ كيله ووزنه إلا عند من هو مثله . وهذا وقت البكاء والعبرات تصعد منا إلى الله تعالى ، لعل الله تعالى يرحمنا . فأحب أن تتنبه له ، فقد جاءت الحقائق ، وذهبت الشكوك من الانتباه والناس فى غفلة ، والهلاك لمن استقبل أمر الله بالمناصبة فأنا حذر لهذا الباب ، وأحذرك لشفقتى عليك ، ونصحى لك . وأسأل الله تعالى توفيقك ورشدك .

والسلام عليك ورحمة الله تعالى ، وعلى إخواننا قبلك .

تم الكتاب والرسالة بحمد الله ومنه

وصلى الله على محمد وآله

= مرفوعاً . وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، ثم ذكر أنه روى بطريق آخر عن ابن عباس موقوفاً وعلق على ذلك بقول فالله أعلم .
كما ذكر عن ابن جرير سنده عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال فى القرآن برأية فقد أخطأ .
وذكر رواية أبى داود والترمذى والنسائى لهذا الحديث عن سهيل بن أبى حزم القطيعى ، وذكر أن بعض أهل العلم تكلم فى سهيل .

(١) عال الميزان : نقص أوزاد .

(٢) هكذا فى الأصل ولعلها : فى السوق .

(٣) هذا اللفظ أفضل ما استطعنا قراءته من الأصل .

الرسالة الرابعة

إلى

أبي عبد الله محمد بن الفضل البلخي

كتب الإمام(١) أبو عبد الله ـ رحمة الله عليه ـ(٢) إلى محمد بن الفضل جواب كتابه :

فأما ماذكرت ـ أكرمك الله ـ من المصائب فصائب ، [النفس كائنة ولكنها تهون فى جنب مصائب القلوب وإن من أعظم مصائب القلوب حجبها عن الله ، ورضاها بحيث حلت واقتصرت عليه ، فمن حلت به هذه المصيبة فقد تلاشت المصائب فى جنبها .

والسكارى لايصل إليهم لجعة المصيبه إلا عند الإفاقة ، فإذا أفاقوا من سكرهم خلص إلى قلوبهم الألم ، وقلقوا ، ولم يطمئنوا إلى شىء فعيشهم منغص فهم(٣) كأنهم فى البرزخ موتى عن الله(٤) ، حتى ينالهم عطف الله ، فيحيى تلك القلوب ،

ودعوت الله فى كتابك ـ ياأخى ـ أن يجبر مصائبنا فى الجنه ، فمن كان محجوبا عن الله فمصيبته لاتنجبر أبداً لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فهو ـ وإن دخل الجنة ـ أعطى الرضا ، وبقى الرضوان الأكبر .

---

(١) الإمام : ساقطة من س

(٢) الترحيم : ليس فى س

(٣) فى الأصول : فهو « حق » لايتفق مع أصول مذهب الحكيم

(٤) فى ز : موتى عن حق الله وزيادة لفظ

وكيف تنجبر مصيبة عبد جعل الله له فى الفردوس حظا ، وهى سرة الجنة ، والدرجة العليا ، متصلة بدار الرحمن ، فلما عن الله ، حتى انحط عنها وورثها عنه من أقبل على الله ، قال الله تبارك وتعالى اسمه فى تنزيله (قد أفلح المؤمنون)(١) فأوجب لهم الفلاح ، ثم وصف خصالهم ، فقال . « والذين .. والذين .. والذين » ثم قال « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس » فالميراث لايكون إلا عن الموتى .

فمن مات عن توحيدالله ورثه الموحدون ، ومن مات عن الله ورث(٢) المقربون الذين حيوا بالله حظه من الفردوس ، لأنه لم يوجد فى الصلاة خاشعا ، ولا عن اللغو معرضا ، ولا للزكاة فاعلا ، ولا للفرج حافظا ، ولا للأمانة والعهد راعيا ، ولا على الصلوات محافظ استقام بأركانه . ولم يستقم بإقباله ، فتخشع(٣) ولم يخشع ، وجانب اللغو ولم يعرض ، وأعطى الزكاة ولم يفعل ، وصان الفرج وحصنه ولم يحافظ ، ورد(٤) الأمانة والعهد ولم يرع(٥) حتى خالطته الخيانة ونسيان العهد ، وصلى ولم يحافظ ، فانحط عن درجة الفردوس ، فورثه من استقام فى إقباله بهذه الخصال .

فمصيبة المنحطين لاتنجبر ، ولكنهم يعطون الرضا حتى لايستبين عندهم جزء المصيبة ، فالرضا لأهل الدرجات « رضى الله عنهم ورضوا عنه(٦) أولئك

---

(١) أول سورة المؤمنون .

(٢) فى الأصول : ورثه ،

(٣) فتخشع : ساقطة من س

(٤) فى ز : ورعا الأمانة

(٥) فى الأصول : ولم يراعى

(٦) سورة البينة . آخر آية وهى : « جزاؤهم عند ربهم جنات عدن =

أهل الخشية « ليدخلنهم مدخلا يرضونه »(١) والرضوان لأهل الفردوس قال الله تبارك وتعالى فى تنزيله « ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر »(٢) وصل أهل الرضوان إلى الله(٣) وسائر أهل الدرجات إلى الكبرياء

روى لنا عن جعفر بن سليمان الضبعى(٤) عن أبى عمران الجونى(٥)

تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه »

(١) سورة الحج : ٥٩

(٢) سورة التوبة : ٧٢

(٣) فى الأصول : إلى كبرياء الله ، ولا يتفق هذا مع مذهب الحكيم ، لأن الذين يصلون إلى الله هم أهل الرضوان ، وأهل الفردوس الأعلى ، أما الدرجات الأولى فإنها تصل إلى كبرياء الله ويصدق ذلك ما أورده بعده من قوله « وسائر أهل الدرجات إلى الكبرياء » .

(٤) جعفر بن سليمان الضبعى ، بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة أبو سليمان البصرى ، مولى بنى الحارث ، وقيل مولى بنى الحريش ، نزل فى ضبيعه ، وكان من العلماء الزهاد .

روى عن ثابت البنانى ، وأبى عمران الجونى الجعد أبى عثمان ، وعطاء ابن السائب ومالك بن دينار وغيرهم

وروى عنه الثورى - ومات قبله ، وابن المبارك ، وسيار بن حاتم ، وصالح بن عبد الله الترمذى وغيرهم .

قال يحيى بن معين : كان يحيى بن سعد لا يكتب حديثه ويستضعفه =

. . . . . .

- قال ابن معين : وجعفر ثقة ، وقال أحمد : لا بأس به ، قدم صنعاء فحملوا عنه .

وقال ابن سعد : ثقة فيه ضعف ، وكان يتشيع .

قال أبو أحمد : ولجعفر حديث صالح ، وروايات كثيرة ، وهو حسن الحديث معروف بالتشيع وجمع الرقاق ، وأرجو أنه لا بأس به .

وقد روى أيضا فى فضل الشيخين وأحاديثه ليست بالمنكرة ، وما كان فيه منكر فلعل البلاء فيه من الراوى عنه ، وهو عندى ممن يقبل حديثه .

مات فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائه .

انظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٢ ص ٩٥ وميزان الاعتدال رقم : ١٥٠٥ جـ ١ ص ٤٠٨

(١) هو عبد الملك بن حبيب الأزدى ، ويقال الكندى ، أبو عمران الجونى البصرى .

رأى عمران بن حصين ، وروى عن جندب بن عبد الله البجلى ، وأنس وأبى فراس ربيعة بن كعب الأسلمى ، وعائذ بن عمرو المزنى ، وعبد الله ابن رباح الأنصارى - كتابة - وعبد الله بن الصامت ، وغيرهم

وروى عنه عوبد ، وسليمان التيمى ، وابن عون ، وأبو عامر الخراز وشعبة ، وأبان ، وعبد العزيز العمى ، وآخرون ،

قال ابن معين . ثقة ، وقال أبو حاتم : صالح ، وقال النسائى : ليس به من بأس ، وقال ابن سعد : كان ثقة ، وله أحاديث ، وقال الحاكم : =

عن أنس بن مالك(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال(٢) :

= لم يصح سماعه من عائشة ، وصح سماعه من أنس .

قال عمرو بن على : مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقال غيره : سنة تسع ، وقال ابن حبان فى الثقات : مات سنة ثلاث وعشرين ، أى ومائة .

أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٦ ص ٣٨٩ .

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارى ، أبو حمزة المدنى ، خادم رسول الله ﷺ ، نزيل البصرة .

قال الزهرى عن أنس : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين وكن أمهاتى يحثثنى على خدمته .

وقال جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن أنس : جاءت بى أم سليم - أمه - إلى النبى ﷺ وأنا غلام ، فقالت : يارسول الله ، أنيس ، أدع الله له ، فقال النبى ﷺ : اللهم أكثر ماله وولده ، وأدخله الجنة ، قال : فقد رأيت اثنتين ، وأنا أرجو الثالثة .

وقال على بن الجعد عن شعبة عن ثابت قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم .

وقال على بن المدينى : آخر من بقى بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ : أنس .

واختلفت الروايات فى تاريخ وفاته ، ورجح ابن حجر أن تكون وفاته سنة ٩٣ عن مائة سنة وثلاث سنين .

أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ١ ص ٣٧٦ والاستيعاب لابن عبد البر جـ ١ ص ١٠٩ (٢) فى س : عليه السلام ،

وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء فى جنة عدن»(١).

---

(١) هذا جزء حديث شريف رواه البخارى بسنده قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبى عمران عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ قال :

« جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب . آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه فى جنة عدن » جـ ٩ ص ٦٢ باب وكان عرشه على الماء .

ورواه مسلم بسنده قال حدثنا أبو عبد الصمد - وهو عبد العزيز بن عبد الصمد - حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما . وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » . جـ ١ ص ١٦٣ رقم ١٩٦ باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه تعالى .

ورواه الترمذى بسنده قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى عن أبى عمران الجونى ، عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « إن فى الجنة جنتين من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتين من ذهب ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » ، جـ ٤ ص ٨١ باب ما جاء فى صفة غرف الجنة .

ورواه ابن ماجه بسنده ثنا أبو عبد الصمد ، عبد العزيز بن عبد الصمد ثنا أبو عمران الجونى ، عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس الأشعرى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، =

. . . . . .

= وجنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ، ج ١ ص ٦٦ رقم ١٨٦ المقدمة .

وتكفينا هذه الروايات لنلاحظ أن راويها أبو عبد الصمد عبد العزيز ابن عبد الصمد العمى يرويها عن أبى عمران الجونى ، عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ .

فإذا أتينا للسند الذى فى نص الحكيم الترمذى نجده هكذا : حدثنا عبد الله ابن أبى زياد ، عن سيار ، عن جعفر بن سليمان الضبعى عن أبى عمران الجونى ، عن أنس بن مالك .

والذى عرفناه فى الأسانيد السابقة أن أبا عمران الجونى قد روى الحديث عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه ، لا عن أنس بن مالك ، كما هو فى سند الحكيم :

وأن الذى رواه عن أبى عمران الجونى هو عبد العزيز بن عبد الصمد ، لا جعفر بن سليمان الضبعى ، كما هو فى سند الحكيم .

فإذا إنتقلنا إلى السند الثانى لهذا الحديث فى نص الحكيم الترمذى نجده كما يلى : حدثنا الحسين بن حيان العسقلانى قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والذى عرفناه فى الأسانيد السابقة أن عبد العزيز بن عبد الصمد قد رواها عن أبى عمران الجونى ، لا عن أبى هارون العبدى ، وأن هذا الحديث من مسند عبد الله بن قيس ، لا من مسند أبى سعيد الخدرى . =

حدثنا بذلك عبد الله بن أبى زياد(١) عن سيار(٢)

= ومع ما تثيره هذه المقارنات من شكوك ، فإن نص الحديث صحيح ، ولعل ما يعترى هذه الأسانيد من شكوك يزول إذا لاحظنا أن رجال هذه الأسانيد قد يكونون من غير المقبولين فى روايات الكتب المذكورة وذلك مثل أبى هارون العبدى ، وسيأتى .

(١) هو عبد الله بن الحكم بن زياد القطوانى - بفتح القاف والطاء - أبو عبد الرحمن الكوفى الدهقان .

روى عن ابن عيينه ، وأبى داود الطيالسى ، وسيار بن حاتم وغيرهم .

وروى عنه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وأبو حاتم ، والحكيم الترمذى ، وغيرهم ذكره ابن حبان فى الثقات .

قال ابن أبى حاتم : سئل أبى عنه فقال : صدوق ، وقال ابن حجر : وفى كلام ابن حاتم : وكان ثقة .

قال ابن أبى حاتم : قدمنا الكوفة سنة (٥٥) أى بعد المائتين ، ثم رجعنا من الحج وقد توفى .

أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ١٩٠

(٢) هو سيار بن حاتم العنزى - بفتح العين المهملة والنون - أبو سليمان البصرى

روى عن عبد الواحد بن زياد ، وسهل بن أسلم العدوى ، وغيرهما .

وروى عنه هارون الحال ، وعبد الله بن الحكم بن أبى زياد القطوانى ، ومحمد بن على بن حرب المروزى وغيرهم .

قال الحاكم : كان سيار عابد عصره ، وقد أكثر عنه أحمد بن حنبل .

ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : كان جماعا للرقائق . =

عن جعفر(١) ، وحدثنا الحسين ابن حيان العسقلانى قال : حدثنا عبد العزيز ابن عبد الصمد(٢) عن أبى هارون العبدى(٣).

= وقال الحاكم : فى حديثه بعض المناكير ، وقال أبو داود عن القواريرى: لم يكن له عقل ، قلت : أيتهم بالكذب . ؟ قال : لا ، وقال العقيلى : أحاديثه مناكير ، ضعفه ابن المدينى .

وقال الذهبى : هو رواية جعفر بن سليمان ، ومات سنة مائتين ، أو قبلها بسنه .

أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٤ ص ٢٩٠ وميزان الاعتدال للذهبى جـ ٢ ص ٢٥٣ رقم ٣٦٢٨ .

(١) هو جعفر بن سليمان الضبعى وقد سبق .

(٢) هو عبد العزيز بن عبد الصمد العمى — بتشديد الميم وكسرها — أبو عبد الصمد البصرى الحافظ .

روى عن أبى عمران الجونى ، وداود بن أبى هند ، ومنصور بن المعتمر ، وغيرهم .

وروى عنه أحمد ، وإسحاق ، وعلى ، ويحيى ، وبندار ، والحميدى ، وغيرهم وثقه أحمد وأبو زرعة وأبو داود والنسائى .

وقال ابن معين : لم يكن به بأس .

واختلف فى تاريخ وفاته بين سنة ١٨٧ إلى ١٩٠

أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٦ ص ٣٤٦

(٣) هو عمارة بن جوين - بضم الجيم وفتح الواو - العبدى البصرى .

روى عن أبى سعيد الخدرى ، وابن عمر . =

عن أبى سعيد الخدرى(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) بمثله .

وحدثنى أبى رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن يونس ، قال : حدثنا أبو شهاب قال : أخبرنى خالد بن دينار ، عن حماد بن جعفر ، عن ابن عمر

= وروى عنه عبد الله بن عون ، وعبد الله بن شوذب ، والثورى ، والحادان ، وجعفر بن سليمان ، وغيرهم .

قاله الذهبى : تابعى ابن بمرة .

كذبه حماد بن زيد ، وقال أحمد : ليس بشىء ، وقال ابن معين : ضعيف لا يصدق فى حديثه ، وقال النسائى : متروك الحديث ، وقال الدارقطنى : متلون خارجى وشيعى ، فيعتبر بما روى عنه الثورى ، وقال ابن حبان : كان يروى عن أبى سعيد ما ليس من حديثه وقال الجوزجانى : أبو هارون كذاب مفتر .

قال ابن قانع : مات سنة أربع وثلاثين ومائة .

أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٧ ص ٤١٢

(١) هو سعد بن مالك بن سنان ، من بنى الأبجر ، وهو خدرة بن الحارث ابن الحارث بن الخزرج ، الأنصارى الخدرى .

مشهور بكنيته ، كان من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء والعقلاء ، حفظ عن رسول الله ﷺ سننا كثيرة ، وروى عنه علما جما ، وكان من نجباء الأنصارى وعلمائهم .

أنظر كتاب الاستيعاب لابن عبد البر رقم ٩٥٤ جـ ٦٠٢ ورقم ٣٠٠٢ ص ١٦٧٣ .

(٢) فى س : عليه السلام .

رفعه قال : إذا بلغ النعيم من أهل الجنان كل مبلغ ،وظنوا أن لانعيم أفضل منه ، تجلى لهم الرب ، فنظروا إلى وجه الرحمن ، فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن(١) فيقول : ياأهل الجنة هللونى ، فيتجاوبون بالتهليل ، فيقول : قم ياداود فمجدنى كما كنت تمجدنى فى دار الدنيا،فيقوم داود فيمجد ربه .

فقد ورثت عصابة من هذه الأمة ذلك التمجيد عنه ، أولئك قوم صدقوا الله فى الإجابة ، دعاهم فلبوه بأجمعهم ، وقصدوه فعارضتهم النفس والهوى، فتركوا التلبيه ، ووقفوا على النفس والهوى ، فربطهم الهوى على(٢) النفس فبقوا فى وثاقة الهـــوى مكبين على النفس ، وأولئك لم يقطعوا التلبية ، فما زالت قلوبهم محرمة تقول : لبيك لبيك عدد الأنفاس ، فلا ينقطع إحرامنا حتى نصل إلى حظوظنا منك . كما لاتنقطع تلبية المحرمين حتى يطوفوا بالبيت العتيق ، قد تستروا بالثياب من الحر والبرد والعرى ولم(٣) يلبسوا . وهجروا أفراح مخالطة الأزواج حتى يطوفوا ويلوذوا وهؤلاء قد تستروا بالأعمال ، ولم يلبسوا ، وتمتعوا بالأزواج وهجروا الأفراح ، وتناولوا الأسباب وتوقوا العلائق . لايعرجون على شىء من درجات الأعمال لما علموا أنه دعاهم ليعطيهم حظوظهم التى قسم لهم من نفسه ليصيروا

---

(١) يشهد لهذا مارواه مسلم عن صهيب عن النبى ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنه قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنه وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل

(٢) فى ز : عن النفس

(٣) فى س : فلم

بتلك احرارا من رق النفوس ،فهم فى نصيب الأعمال وكدها وتعبها أجسادا وبالقلوب براء سالمون ،لايلتفتون إليها ، ولا يمتصون حلاوة أفراحها .

فالمغتر لها عن حظه من ربه ، وأقبل على حظه من الجنان ليتنعم فيها، فعمل لها .

والكيس لها عن حظه منها(١) فى جنب حظه من ربه ، فمازال يسعى بقلبه(٢) دءوبا حتى وصل إلى الحظ ، فاستقر بين يديه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ولاحظ ملك مليكه ، ولاحظ اقتدار المقتدر تنعمت مجالس نجواه ،فتخطى رتبة رتبة فى العلا ، ويصدر عنها بأنوار المراتب إلى النفس فانقادت النفس ، واستقامت فى تلك الخصال التى عددها الله فى تنزيله فأوجب الله له الفلاح واسم الإيمان ، بالكلام والتنزيل ، تكلم به فى أزله ، فهو موسوم بسمة الله حتى يلقاه يوم الموقف بتلك السمات : فتنظر إليه الملائكة ، وينظر إليه الرسول والرسل صلوات الله عليهم ؛ ثم يبعث به إلى الجنان ، ويرقبه منها إلى الفردوس ، فينال منها بحظـــه من الله ، ويرث من الباقين حصصهم ، لأن أولئك قد ماتوا عن الله . وهذا لقى الله حبا به .

حدثنا عمر بن أبى عمر العبدى(٣) قال : حدثنا سليمان بن شرحبيل

---

(١) فى ز : منهما

(٢) جملة : فما زال يسعى ساقطة من س

(٣) هو عمر بن رياح ، أبو حفص العبدى البصرى ، مولى عبد الله ابن طاوس .

روى عن مولاه ، وعن عمرو بن شعيب وثابت البنانى وهشام بن عروة =

رفعه قال : إذا بلغ النعيم من أهل الجنان كل مبلغ ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه ، تجلى لهم الرب ، فنظروا إلى وجه الرحمن ، فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن(١) فيقول : ياأهل الجنة هللونى ، فيتجاوبون بالتهليل ، فيقول : قم ياداود فمجدنى كما كنت تمجدنى فى دار الدنيا، فيقوم داود فيمجد ربه »

فقد ورثت عصابة من هذه الأمة ذلك التمجيد عنه ، أولئك قوم صدقوا الله فى الإجابة ، دعاهم فلبوه بأجمعهم ، وقصدوه فعارضتهم النفس والهوى، فتركوا التلبيه ، ووقفوا على النفس والهوى ، فربطهم الهوى على(٢) النفس فبقوا فى وثاقة الهـــوى مكبين على النفس ، وأولئك لم يقطعوا التلبية ، فما زالت قلوبهم محرمة تقول : لبيك لبيك عدد الأنفاس ، فلا ينقطع إحرامنا حتى نصل إلى حظوظنا منك . كما لاتنقطع تلبية المحرمين حتى يطوفوا بالبيت العتيق ، قد تستروا بالثياب من الحر والبرد والعرى ولم(٣) يلبسوا . وهجروا أفراح مخالطة الأزواج حتى يطوفوا ويلوذوا وهؤلاء قد تستروا بالأعمال ، ولم يلبسوا ، وتمتعوا بالأزواج وهجروا الأفراح ، وتناولوا الأسباب وتوقوا العلائق ، لا يعرجون على شىء من درجات الأعمال لما علموا أنه دعاهم ليعطيهم حظوظهم التى قسم لهم من نفسه ليصيروا

---

(١) يشهد لهذا مارواه مسلم عن صهيب عن النبى ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنه قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنه وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل

(٢) فى ز : عن النفس

(٣) فى س : فلم

بتلك أحرارا من رق النفوس ، فهم فى نصيب الأعمال وكدها وتعبها أجسادا وبالقلوب براة سالمون ، لايلتفتون إليها ، ولا يمتصون حلاوة أفراحها .

فالمغتر لها عن حظه من ربه ، وأقبل على حظه من الجنان ليتنعم فيها، فعمل لها .

والكيس لها عن حظه منها(١) فى جنب حظه من ربه ، فمازال يسعى بقلبه(٢) دءوبا حتى وصل إلى الحظ ، فاستقر بين يديه و فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ولاحظ ملك مليكه ، ولاحظ اقتدار المقتدر تنيفت مجالس نجواه ، فتخطى رتبة رتبة فى العلا ، ويصدرعنها بأنوار المراتب إلى النفس فانقادت النفس ، واستقامت فى تلك الخصال التى عددها الله فى تنزيله فأوجب الله له الفلاح واسم الإيمان ، بالكلام والتنزيل ، تكلم به ثم أنزله ، فهو موسوم يسمة الله حتى يلقاه يوم الموقف بتلك السمات : فتنظر إليه الملائكة ، وينظر إليه الرسول والرسل صلوات الله عليهم ، ثم يبعث به إلى الجنان ، ويرقبه منها إلى الفردوس ، فينال منها بحظـــه من الله ، ويرث من الباقيين حصصهم ، لأن أولئك قد ماقوا عن الله . وهذا لقى الله حبا به .

حدثنا عمر بن أبى عمر العبدى(٣) قال : حدثنا سليمان بن شرحبيل

---

(١) فى ز : منهما

(٢) جملة : فما زال يسعى ساقطة من س

(٣) هو عمر بن رياح ، أبو حفص العبدى البصرى ، مولى عبد الله ابن طاوس .

روى عن مولاه ، وعن عمرو بن شعيب وثابت البناني وهشام بن عروة =

الدمشقي قال . حدثنا يزيد بن يحيى الصباغ(١) قال : حدثنا ثور بن يزيد(٢)

= وبهز بن حكيم . وروى عنه يحيى بن حسان ، وأيوب بن محمد الهاشمي وغيرهما .

قال أبو حاتم عن عمرو بن على : هو رد . أى مردود ؛ وقال البخارى عن عمرو بن على الفلاس : هو دجال ، وقال النسائى والدار قطنى : متروك الحديث ، وقال ابن عدى : يروى عن ابن طاوس البواطيل مالا يتابعه أحد عليه ، والضعف بين على حديثه ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات .

انظر تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٤٤٧ ، وميزان الأعتدال جـ ٣ ص ١٩٧ رقم ٦١٠٩

(١) هكذا هى فى الأصلين ، والمقصود يزيد بن يحيى بن الصباح لا يعرف وقال أبو حاتم : ليس بالقوى .

انظر ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٤٤١ رقم ٩٧٦٢ .

(٢) لعله ابن زياد الكلاعى ، ويقال : الرحبي ، أبو خالد الحمصى . أحد الحفاظ عن خالد بن معدان ؛ وعطاء ؛ وطائفة .

وروى عنه يحيى القطان ؛ وأبو عاصم وجماعه .

قال ابن معين : مارأيت أحد يشك إنه قدرى ؛ وهو صحيح الحديث .

وقال أبو سبر عن عبد الله بن سالم قال : أدركت أهل حمص وقد أخرجوا ثورا وأحرقوا داره لكلامه فى القدر ، وقال وكيع : كان ثور ابن يزيد صحيح الحديث وكان من أعبد من رأيت ، وقال دحيم : ثور =

عن خالد بن معدان(١) عن جبير بن نفير(٢) عن معاذ

= ثبت وقال عمرو بن على عن يحيى بن سعيد : مارأيت شاميا أوثق من ثور بن يزيد .

وقال ابن سعد وطائفه : مات ثور بن يزيد سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

انظر تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٢٣ وميزان الاعتدال جـ ١ ص ٣٧٤ رقم ١٤٠٦

(١) هو خالد بن معدان - بفتح الميم وسكون العين المهملة - ابن أبى كريب الكلاعى ، أبو عبد الله الشامى الحمصى .

روى عن ثوبان وابن عمرو ومعاوية بن أبى سفيان ، وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وجبير بن نفير وغيرهم .

وروى عنه بحير بن سعيد ، وثور بن يزيد ، وفضيلة بن فضالة وجماعة .

قال العجلى : شامى تابعى ثقة ، وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وابن خراش والنسائى : ثقة . روى عن نفسه أنه أدرك سبعين من أصحاب النبى ﷺ .

قال ابن سعد : أجمعوا على أنه توفى سنة ١٠٣

قال ابن حجر : وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : كان من خيار عباد الله مات سنة (٤) وقيل سنة (٨) وقيل سنة (١٠٣)

انظر تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ١١٨

(٢) هو جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمى ، أبو عبد الرحمن ، =

ابن جبل(١) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها

= ويقال : أبو عبد الله الحمصى أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وروى عنه وعن أبي بكر الصديق مرسلا ، وروى عن عمر بن الخطاب ؛ وعن أبيه ؛ وعن أبي ذر ؛ وأبي الدرداء ؛ والمقداد بن الأسود ؛ وخالد ابن الوليد وعبادة بن الصامت ، وخلق .

وروى عنه ابنه عبد الرحمن ومكحول وخالد بن معدان وغيرهم .

قال أبو حاتم : ثقة من كبار تابعي أهل الشام؛ وقال النسائى :ليس أحد من كبار التابعين أحسن رواية عن الصحابى من ثلاثة : قيس بن أبي حازم، وأبي عثمان النهدى ؛ وجبير بن نفير .

قال ابو حسان الزيادى : مات سنة (٧٥) ويقال مات سنة (٨٠) وقال معاوية ابن صالح : أدرك أمارة الوليد بن عبد الملك ؛ قال ابن حجر فإن صح ذلك فيكون قد عاش إلى سنة بضع - أى وثمانين - لأن الوليد ولى سنة (٨٦)

انظر تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٦٤

(١) هو معاذ بن جبل بن عمر بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب ابن عمرو . . . إلى الخزرج ؛ الأنصارى الخزرجى، ويكنى أبو عبدالرحمن

كان أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ؛ وشهد بدرا والمشاهد كلها وبعثه رسول الله ﷺ قاضيا إلى الجند باليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام ويقضى بينهم . وقال رسول الله ﷺ : أعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل ؛ وقال : يأتى معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء =

فإنما سنارت تلك الساعه حسرة عليهم ، لأن الله بعث أيام الدنيا ولياليها على هيئتها التى كانت إلى الموقف ، فانتصب للعرض على الله ، وأيام الجمعة تزهر بين تلك الأيام ، كذلك روى لنا عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ ، فإذا نظر أحدهم إلى ساعة ذكر الله فيها ؛ وجد تلك الساعة مشحونة بذكر الله له ، فنظر(١) ما فى ذلك الذكر ، فامتلأ العبد فرحا ، وإذا نظر إلى ساعة أخرى (و) وجدها خالية عن ذكر الله ، لأنه لم يذكره فى تلك الساعة فى دار الدنيا ، تحسر .

وإنما صارت حسرة لانكشاف الغطاء عن سر القدر الذى طواه الله عز وجل عن رسله وأنبيائه .

فخرجوا من الدنيا عطاشا عن الهجم عليه ، والعمل له ، لأنهم عجزوا عن احتماله أيام الدنيا من أجل النفوس والهوى والعدو .

جعلنا الله وإياك من أهل ذكره والسعادة به آمين رب العالمين .

= روى عنه ابن عباس ، وأبو موسى الأشعرى ، وابن عمرو ، وابن عمر، وأنس ، وجابر ، وخلق .

وقال عنه عمر : عجزت النساء أن تلدن مثل معاذ لهلك عمر .

قال أبو مسهر : مات سنة سبع عشرة ، وقال يحيى بن معين : مات سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة .

أنظر تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ١٧٦ والاستيعاب لابن عبد البر جـ ٣ ص ١٤٠٢ رقم ٢٤١٦

(١) فى الأصوله : فانظر .

الرسالة الخامسة

إلى

بعض إخـــوانه

وأجاب أبو عبد الله رحمة الله عليه(١) بعض إخوانه عن كتاب كتب إليه :

أما ماذكرت من منة الله علينا بهذا العلم الذى وسعه علينا ، فإن للعلم شرة وفترة ، فمن وجد نفسه فى وقت الفترة مع الله ، كان فى وقت شرته معصوما عن شراهة النفس فيه ، ومن وجد نفسه فى تلك الفترة مع العلم ، كان فى وقت شرته مفتوناً بذلك العلم ، مخذولا عند شراهة النفس فيها ، فيصير العلم حجاباً(٢) .

وفى أس الأمر أن العلم إنما ألقى إلى العباد ليؤديهم العلم إلى الله ، فإذا صار العلم بهيئة تحجبهم عنه ، فهذا جهل مسمى بغير اسمه .

فنسأل الله الذى رحمنا بديا ، فظهرت علينا آثار رحمته أن لا يقطع عنا مدد الرحمة .

ولم يزل الإخوان يتواصون بما يرجون به حياة القلوب ، وانقاد الجرات فأحسن الله جزاءك فيما وعظت وذكرت وأشفقت ، وتقبله منك .

وأما ماذكرت من الروايه التى رويت أن الله تبارك اســـمه قال

---

(١) رحمة الله عليه : ساقطة من س

(٢) يوجد فى هذا المكان من نسخه ز خلط من الناسخ أعاد تصحيحه بما يتفق مع نسخة س .

لداود عليه السلام : إذا كنت لى مطيعا ، فاحذرنى ، كيلا أصرعك صرعة تكون نكالا بين الأنبياء . فهذه مقالة هائلة ، تهمد منها الأرواح ، وتزعزع منها القلوب ، ويخمد منها فوران حب الأحباب .

ولعل هذه المقالة لغير داود عليه السلام(١) ، فإن قلبى نفر من هذا ، لامن المقالة ، ولكن من إذكر داود ، لأن داود سبقت له من الله تبارك اسمه من بين الرسل سابقة بارزة بالمحبة الفاضلة ، فكان بلغ من غلبة ذلك عليه أنه كان يغار لربه ويقول فى دعائه : رب لا تغفر للخطائين . من شدة الغيرة .

ولذلك أعطى من المكتب : الزبور ، وهو كله ثناء ، فكان يعمل فى الأحكام بالتوراة ، وكتابه فى خاصة نفسه : الزبور .

وإن الله تبارك اسمه صير قسمة المحبين من أموره : الثناء ، فالثناء على ألسنتهم أحلى وأبهى ، لحلاوة الحب وبهائه ، وهم الذين توضع لهم يوم القيامة منابر من نور بين يدى الله ، حتى يثنوا عليه ، فيباهى بهم الملائكة ، ويقول : هؤلاء كانوا فى أدانى المملكة ، وأنتم فى أعاليها ، وهؤلاء كانوا مع الشهوات ، والعدو يجرى منهم مجرى الدم ، وأنتم فى خلو من ذلك ، وهؤلاء كانوا فى غيب من مملكتى ، وأنتم تنظرون إلى حجبى ، وهؤلاء أصل خلقتهم من التراب والطين ، وأصل خلقتكم من النور ، فاليوم لم يأخـــذهم من هول رؤيتى وانكشاف الغطاء مايقطع ألسنتهم عن الثناء على ، فهل هذا إلا لعظيم علمهم بى ، ومعرفتهم إياى ! ؟

فهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله عباداً يغبطهم

---

(١) وسلم : غير مذكورة فى س .

النبيون والشهداء بمكانهم من الله(١) .

فداود ﷺ رأس المثنين على الله بعد انصراف محمد ﷺ من المقام المحمود ، قال الله لداود : ياداود : مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول : يارب ، كيف وقد سلبتنيه ! ؟ فيقـــول : فإنى سأورده عليك ، فيقوم داود عند ساق العرش ، فيندفع بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان(٢) .

---

(١) روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر : إن لله تعالى عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة لقربهم ومجلسهم منه ، قوم من أفناء الناس من تراع القبائل ، تصـــافوا فى الله ، وتحابوا فيه ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسهم ، يخاف الناس ولايخافون ، هم أوليا الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون أنظر جمع الجوامع حـ١ ص٢٥٨ ويروى الحكيم هذا الحديث فى كتابه ختم الأولياء أنظر ص٣١٨ وص٣٩٤ ، كذلك رواه فى نوادر الأصول .

(٢) كذلك يرويه ابن كثير فى تفســـيره عن ابن أبى حاتم ، حدثنا أبوزرعة حدثنا عبد الله بن أبى زياد حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، سمعت مالك بن دينار فى قوله تعالى « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » قال : يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ، ثم يقول : ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجـــدنى به فى الدنيا ، فيقول : وكيف وقد سلبتنيه ؟ فيقول الله عز وجل : إنى أرده عليك اليوم ، قال : فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

كذلك حدثنا به عبد الله بن أبى زياد ، قال : حدثنا سيار عن جعفر عن مالك ابن دينار (١)

وإنما سلبه أيام الحياة ، حين واقع الخطيئة (٢) ، بح صوته ، وذهب صفاؤه ، فرده عليه يومئذ .

فداود ﷺ هذا محله ، فليس بحقيق أن تكون هذا المقالة لمثله ، فإن هذه المقالة تحير قلوب المحبين ، وعليهم من الله رأفة لا يجهون بمثل هذا ؛

ومثل هذه الحكايات الدارسة من الزمن الأول ، قد تداولتها رواة الأمم ، وهذه الأمة أخذتها من هؤلاء الرهابنة أصحاب الصوامع ، أولئك

---

(١) هو مالك بن دينار السلمى الناجى ، كان أبوه من سبى سجستان ، وقيل من كابل ، وهو من علماء البصرة ، وزهادها المشهورين ، وكان ينسخ المصاحف ، ويقتوت بأجرته .

روى عن أنس بن مالك ، والأحنف ، والحسن ، وابن سيرين ، وعكرمة وغيرهم

وروى عنه أخوه عثمان ، وأبان بن يزيد العطار ، وسعيد بن أبى عروبة ، وجعفر بن سليمان وآخرون قال الذهبى : صدوق ، ووثقه النسائى ، وذكره ابن حبان فى الثقات

وقال الأزدى : يعرف وينكر .

وفى وفاته أقوال : أحدها سنة ثلاثين ومائة

انظر تهذيب التهذيب حـ١٠ ص١٤ وميزان الاعتدال حـ٣ ص٤٢٦ رقم ٧٠١٦

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة ص « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » =

لا يعرفون داود وقدره ، وإنما يعرف داود من عرفه يوم الميثاق ، حيث عرضت الذرية على آدم صلى الله عليهما ، فرأى نورا ساطعا على سائر الأنوار ، فقال : من هذا يارب ؟ قال : هذا ابنك دواد ، فأعجب به إعجابا سأل عن عمره ، فقيل : أربعين سنة ، فوهب له من عمره ستين سنة (١) ،

= والمقصود بالخطيئة ما يشاء إليه عادة بأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، إذ أن مقام النبوة مقام عال عظيم .

(١) روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم ، فقال . أى رب ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : أى رب ، من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك ، يقال له داود ، قال : رب ، وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أى رب ، زده من عمرى أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت ، فقال : أولم يبق من عمرى اربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها لابنك داود ؟ قال : فجحد آدم ، فجحدت ذريته ، ونسى آدم ، فنسيت ذريته ، وخطىء آدم فخطئت ذريته .

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى

قال ابن كثير فى تفسيره : رواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين به ، وقال : صحيح على شرط سلم ولم يخرجاه ، ورواه ابن حاتم فى تفسيره من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر نحو ما تقدم

فاعتبر بهذا مارأى آدم فى ذلك النور الساطع حتى فرح به فرحا وهب له من عمره ، وذلك النور كان نور المحبة التى فيه جاد بعمره عليه ، ومتى سمعت أن أحدا جاد بعمره حتى فلم يضن به إلا آدم عليه السلام ، فذاك لما هاج منه من الحب .

وكذلك عادة المحبين أوفرهم حظا من الحب أظهرهم جودا .